مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة العشرون – العدد 62 – 30-10-2024م

Volume 20th - issue no. 62 - 30/10/2024

Pages: 217 - 239 الصفحات: 217 - 239

مفهوم الفرح في القرآن الكريم

(دراسة موضوعيّة)

The cheerful in the Quran
(Objective study)

د. محمّد الترك

Dr. Mohamad AL Terik

Email: mohamad.terik@jinan.edu.lb

اعتمادات

د. محمّد الترك

Dr. Mohamad AL Terik

Email: mohamad.terik@jinan.edu.lb

مفهوم الفرح في القرآن الكريم

(دراسة موضوعيّة)

The cheerful in the Quran

(Objective study)

المُلخص

يتنــاول هذا البحث أهميــة الفرح في حياة الإنســان، والفرح منه المحمــود المشروع، ومنه المذمــوم المــردود، وهو حاجة نفسيــة تتفق والفطــرة البشرية، وقد يكون عن طريــق الحواس أو غيرها، وهو شعور بالسّعادة والسّرور لتحقيق أمر مرغوب فيه، يسعى لحصوله وتحقيقه.

وهــو يساهم في ترسيخ مفهــوم شمولية الإسلام من خلال اهتمامه بأحوال الإنسان الحيوية كلهــا، مما يستدعي التَّعــرف إلى أسبابه ومظاهــره وضوابطه وأنواعــه، ويختلف حكمه باختلاف أغراضه وبواعثه، واشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وقد فصّلت في هيكلية البحث.

الكلمات المفتاحيّة:

الفرح – السرور – الفرح المحمود – الفرح المذموم.

Abstract

This research explores the significance of joy in human life, distinguishing between its commendable and permissible forms and its blameworthy and rejected forms. Joy is a fundamental psychological need that aligns with human nature and can be experienced through various means, including sensory perception. It is characterized by feelings of happiness and delight that arise upon achieving a desired goal, reflecting a state of satisfaction and fulfillment.

The study underscores how joy exemplifies the comprehensive scope of Islam, which addresses all aspects of human vitality and well-being. It highlights the importance of understanding the causes, expressions,

regulations, and types of joy, noting that its evaluation in Islamic thought varies based on its purposes and motivations.

Structured into an introduction, three main sections, and a conclusion, this research delves into the multifaceted nature of joy. Each section provides a detailed examination of its various dimensions, offering insights into how joy can be experienced in alignment with Islamic principles.

Keywords:

Joy – Delight – Praiseworthy Joy – Blameworthy Joy.

المُقدّمة

الحمـد للّه رب العالميـن، والصّـلاة والسّـلام على محمّد سيـد المرسليـن ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

يسعى الإنسان إلى أن يكون فرحاً في أحواله كلها، فالفرح له أثر حيويّ في النفس الإنسانيّة، والمسلـم حريص على أن يصبغ فرحتـه بالصبغة الشرعية، بأن يكـون مشروعًا، ولا يجرح شعور الآخريـن ولا يؤذيهـم، وهناك فرح جُبل عليه الإنسان، ينفذ إلـى قلبه من غير اختيار أو استئذان، عـن طريق حواسه مـن مبصرات ومسموعـات ومشمومات ومطعومات وملموسـات، أو عن طريق روحـه، وذلك باهتمامه بقيّم الجلال والجمال والكمـال، فعنصر الجمال في نظام الكون وصورته لا تغيـب عن أي مظهر من مظاهره، وهـي توحي بالبهجة والسّرور، وكلما اتسعت مدارك الإنسان، وزاد محصولـه العقلي والعلمـي، كان إدراكه للأشياء أوسع وأجمع، وفرحتـه بها أعظم، ومن هنا أمرنـا بالنظر إلـى الأشياء لمعرفتها وإدراكها، لنـزداد بها إيمانًا في قلوبنـا، وفرحًا في نفوسنا، وشوقًا إلى لقاء ربنا، وتلك هي الفرحة الكبرى.

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب اختياره في أمور عدة، منها:

١. إلقـاء الضـوء على الفرح المشـروع، واتفاقه والفطـرة البشرية، وأنه نعمـة من نعم اللّه تعالى على عباده، فيجب أن يكون في محله، وبطرقه المشروعة، وتقويم الفرح بين القيّم الدّينية والقيّم الدّنيوية.

٢. التعرف إلى أسباب الفرح ومظاهره، وضوابطه، سواء أكان فرحاً محمودًا أم مذمومًا.

٣. توضيـح أن الفرح منه الحسيّ والمعنوي، وأن الإنسان يفـرح بالصور الجماليّة، ويستمتع بالأصـوات الجميلـة والمناظـر البهيجة، فقد تكـون صورة مكروهة عنـد الإنسان، ولكن المفرح لها ليس الصورة نفسها، ولكن إتقانها وإبداعها وزينتها.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في أمور أهمها:

١. المساهمة في ترسيخ مفهوم شمولية الإسلام، من خلال اهتمامه بأحوال الإنسان الحيوية كلها.

٢. بيان أن الفرح حاجة نفسية تعبر عن ارتياح عام من حدوث أمر ما، يستوجب فرحًا بحصوله أو بآدائه، أو بالإعانة عليه، فهو يجلب الراحة النفسية والقلبيّة.

٣. يتعلق هذا الموضوع بأهم وأعزّ ما يصبو إليه الإنسان، وهو أن يكون فرحًا مطمئنًا دائمًا في يومه وغده، فيأتي من الأعمال والأقوال ما يجلب له السعادة، ولا يقتصر على مناسبات معينة.

الإشكاليّة:

إذا كان الإنسان يحب الفرح بألوانه وأنواعه، فما المراد بالفرح؟ وما أسبابه؟ وهل كل فرح يفرحه الإنسان يعدّ فرحاً مقبولاً؟ وهل للفرح ضوابط شرعية؟ وما هي دوافع الفرح وموجباته؟ ومتى نفرح؟ وهل يمكن الاستغناء عن الفرح في الحياة البشرية؟

هيكلية البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: مقدمة البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وإشكاليته.

المبحث الأوّل: الفرح.

المطلب الأوّل: تعريفه لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الفرق بين الفرح والسّرور.

المطلب الثالث: النهي عن الحزن، (نقيض الفرح).

المبحث الثاني: الفرح المحمود.

المطلب الأول: فرح الشهداء.

المطلب الثاني: الفرح برؤية النبي ﷺ.

المطلب الثالث: الفرح بالنصر.

المطلب الرابع: فرح المسلم لأخيه.

المبحث الثالث: الفرح المذموم.

المطلب الأول: الفرح بالمال.

المطلب الثاني: الفرح بالدنيا.

المطلب الثالث: فرحة الأمم المكذبة بعلمهم.

المطلب الرابع: الفرح بالمكاسب الدنيويّة.

الخاتمة.

المبحث الأوّل: الفرح.

إن الإنسان بطبيعته يحب أن يفرح في أموره كلها، لذلك فهو يسعى إليه، ويختاره ويؤثره، ويحب أن يلازمه أبداً، بل يريد الانتقال من فرح إلى آخر. فما المراد بالفرح؟ وهل كل فرح يفرحه الإنسان يعدّ فرحاً حقيقياً؟

المطلب الأوّل: تعريفه لغةً واصطلاحًا.

الفرحُ لغةً:

لقد تعرض علماء اللّغة لهذا المصطلح وأسهبوا في شرح معناه وحقيقته، قال ابن السّكيت (ت: ٢٤٤هـ)، «في باب فَعُل وفَعِل بمعنى واحد، يقال: رجل فرَح، وفرِح»[١]. «ويقال: لك فُرحة إن كنت صادقًا وفَرحة»[٢].

وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): الفاء والراء والحاء أصلان يدل أحدهما على خلاف الحزن، والآخر الأثقال: فالأول الفرح، يقال: فرح يفرح فرحاً، فهو فرِح، والمفراح: نقيض المحزان، وأما الأصل الآخر فالإفراح، وهو الإثقال»[٣].

وذكر الزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ) الفرح فقال: لك عندي فرحة، أي بشرى، وفلان إن مسه خير فمفراح وفرحني، وتقول: أفرحتني الدّنيا ثم أفرحتني، أي سرتني ثم غمتني»[٤].

وقال ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ): «وقد أفرحه يفرحه إذا أثقله، وأفرحه إذا غمّه، وحقيقته: أزلت عنه الفرح، والمثقل بالحقوق مغموم مكروب إلى أن يخرج عنها»[٥].

وتوسع ابن منظور (ت: ٧٧١هـ) فقال: «الفرح نقيض الحزن، والفرح: البطر، والمفراح: الذي يفرح كلما سره الدهر، وهو الكثير الفرح، والفرحة المسرة، والفرحة أيضاً ما تعطيه المفرح لك أو تثيبه به مكافأة له»[٦]. والمُفرّح: دواء يُفرح متناوله»[٧]، ويأتي الفرح بسياقات متعددة، تظهر عمقه وأبعاده وأهميّته.

ولفظة (فرح) فسرت في القرآن على ثلاثة أوجه:

١. البطر والمرح، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ (القَصَص: ٧٦) أي: البطرين.

---

(١) ابن السكيت، إصلاح المنطق، تح: أحمد محمّد شاكر، عبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٤، ص٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، د-ت، مادة (فرح)، ٤/٤٩٩.

(٤) الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، ص٣٣٧.

(٥) ابن الأثير، مجد الدّين أبي السّعادات، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ٣/٤٢٤.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا تاريخ، مادة فرح، ٢/٥٤١.

(٧) الرّازي، محمّد بن أبي بكر، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م، ص٢٠٨.

٢. الرضا، قال تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ (الرَّعد: ٢٦).

٣. السّرور، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ (يُونُس: ٢٢)»[١].

الفرح اصطلاحاً:

يتساءل التّوحيدي (ت: ٤٠٠هـ) ما الفرح؟ فيجيب: «هو انبساط النفس من داخل إلى خارج، على المجرى الطبيعي والحزن ضد ذلك»[٢]، وعرّفه الجرجاني (ت: ٨١٦هـ): «لذة في القلب لنيل المشتهى»[٣]. وعرّفه الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ): «انشراح الصدر بلذة عاجلة»[٤]، وعُرّف بأنه: «انفتاح القلب مما يُلتذ به»[٥]، وهذه التعريفات متقاربة وتكاد أن تكون متشابهة، فالفرح لذة ينبسط لها القلب، وينشرح لها الصدر، سواء وصلت الإنسان فجأة، أم سعى لها، فإن كل من يبشر بشيء أو يُسر أو يرضى به، يقال في حقه: فرح به، وقد يبكي الإنسان من شدة الفرح، ففي حديث الهجرة قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر رضي الله عنه يومئذ يبكي»[٦].

فالفرح أمر طبيعي يحدث عند الإنسان متعةً وسرورًا، ولذة تغمر نفسه وتبشره وتسعده، فيستطير فرحًا، فيهتز لها جناحه، وتنعكس على نبضاته وأعضائه، والفرح متفاوت، وقد تفضل فرحة على فرحة أخرى، وتصور الإنسان وعقيدته، تنعكس على تصرفاته، وتجعله يؤثر فرحًا على فرح، ويفرح بفرح أكثر مما يفرح به غيره. وكل شخص يسعى للفرح، فالولد يلعب ليفرح، والمجتهد يجدُّ ليفرح، والعابد يتعبد ليفرح، والصائم يصوم ليفرح، والمتعلم يتعلم ليفرح، والسائح يسيح في الأرض ليفرح، والرياضي يبذل جهده ليفوز وليفرح، فالكل يسعى ليفرح بسعيه إن عاجلاً أو آجلاً. فالفرح مقصد من مقاصد الإنسان، وغاية من غاياته.

فهناك فرح يبقى وترقى به، وفرح تهوى به وتردى، فالكيِّس يسعى إلى فرح يوصله إلى ما يرقيه ويبقيه. ولا يندم عليه، والمؤمن يلون يومه وعمره بأفراح الطاعات لله تعالى. وهو مفعم بالسّرور بذلك. والفرح ينعكس على حياة الإنسان ظاهراً أو باطناً، قال أبو حيّان (ت: ٧٤٥هـ): إذا قوي الفرح انبسط روح القلب من داخله، ووصل إلى الأطراف ولا سيّما إلى الوجه لما بين القلب

---

(١) الدّامغاني، الحسين بن محمّد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنّظائر، تح: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٥م، ص٣٥٢.

(٢) التَّوحيدي، أبو حيّان، المقابسات، دار المدى، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٢١٦.

(٣) الجرجاني، علي بن محمّد، التّعريفات، تح: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م، ص٢١٣.

(٤) الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: عبد الحليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ١٧٨/٤.

(٥) المناوي، التّوقيف على مهمات التّعاريف، تح: محمّد الداية، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٣هـ، ص٥٥٣.

(٦) ابن هشام (ت: ٢١٣هـ)، السّيرة النّبويّة، تح: عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية العباسية، مصر، ٩٣/٢.

والدمـاغ مـن التعلق الشديد، فترى الوجه مشرقًا متلألأً، وإذا قـوي الغم انحصر الرّوح إلى باطن القلب ولم يبقَ له أثر قوي في ظاهر الوجه، فيصفر الوجه ويسّود، فمن لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه، ومن لوازم الغم والحزن اربداده (تغيره) واسوداده[1].

وفـي الحديـث، قوله ﷺ: «اللّه أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُـمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَهُ فِي أَرْضٍ فَـلَاةٍ»[2]، والفـرح هنا: الرضا، وسرعة القبول، وحسن الجـزاء، وفي الحديث تصوير لسعة رحمة اللّه تعالى، وفتح باب التوبة دائمًا، وفيه دلالة بالمبادرة إلى التوبة.

قـال في الفتح: «لكن هذا الفرح له عندنا ثمرة وفائدة، وهو الإقبال على الشيء المفروح به، وإحلاله المحل الأعلى، وهذا الذي يصح في حقه تعالى، فعبر عن ثمرة الفرح بالفرح على طريقة العـرب فـي تسمية الشيء باسم ما جاوره أو ما كان منه بسبـب»[3]، فعبّر عن عطاء الباري وواسع كرمه بالفرح.

المطلب الثاني: الفرق بين الفرح والسّرور:

كثيـرًا ما يقتـرن الفرح بالسّرور، فهل من فـرق بينهما؟ يرى الأصفهانـيّ (ت: ٥٠٢هـ) «أن السّـرور انشراح الصدر بلـذة فيها طمأنينة الصدر عاجلاً وآجلاً، وذلـك في الحقيقة لا يكون إلا إذا لـم يخـف زواله، ولا يكون إلا في القنيـات الأخروية، والفرح انشراح الصـدر بلذة عاجلة غير آجلة»[4].

والفرق بين السّرور والفرح أن السّرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفـرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سرورًا»[5].

ويفـرّق البقاعيّ (ت: ٨٨٥هـ) بين فرح القلب، وفرح النفس فيرى: أن فرح القلب يكون باللّه ومـا كان مقربًا إليـه، قال تعالـى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يُونُـس: ٥٨) وهـذا الفرح من الإيمان، يثاب عليه فإن فرحه به يـدل على محبته، إذاً الفرح إنما يكـون بالظفـر بالمحبوب، واعلـم أن ابتهاجك في الآخـرة بالثواب على قدر ابتهاجـك في الدّنيا بسببـه، ومـن أنواع هذا الفرح سـرور القلب بما منَّ عليه من معاملتـه والإخلاص له والتوكل عليه والتوبـة إليـه، وأما فرح النفس فهو بما يكون من الشهوات وعاجل اللذات أعاذنا اللّه من ذلك»[6].

---

(١) الأندلسي، أبو حيّان، البحر المحيط، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤١١ه-١٩٩٠م، ٥٠٤/٥.

(٢) أخرجه البخاريّ، كتاب: الدعوات، باب: التوبة، برقم (٦٣٠٩)، ص٥٣١.

(٣) العسقلانيّ، ابن حجر (ت: ٨٥٢ه)، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٠٦/١١.

(٤) الأصفهاني، الراغب، الذريعة إلى مكارم الشّريعة، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهريّة، ط١، ١٣٩٣ه – ١٩٧٣م، ص١٧٦.

(٥) العسكري، أبو هلال (ت: ٣٨٢ه)، الفروق اللغوية، دار الكتب العلميّة، ١٤٠١ه -١٩٨١م، ص٢١٩.

(٦) البقاعي، إبراهيم بن عمر، كتاب سر الرّوح، مكتبة التّراث الإسلامي، مصر، ص٨٤.

وأوجز القرطبيّ عن الفرق بينهما، فقال: «الفرح في القلب، والسّرور في العين»[1].

وهناك ألفاظ ذات صلة بالفرح، تقول: وجدت فلاناً مسرورًا، محبورًا، جذلاً، مستبشرًا، وقد استخفه الفرح، واستطاره الفرح، وهزّه السّرور، ويجر ذيله فرحًا، وقد خفق فؤاده فرحاً، ورأيته يطفر (يثب) من الفرح، وقد شهق من الفرح، وكاد يطير فرحًا، وكاد يخرج من جلده فرحًا»[2]، فاللّغة العربية حافلة بالمفردات والكلمات الثرية التي تحمل الدّلالة على الفرح والسّرور والحبور.

وإن الإسلام ليشيع بيئة الفرح الحقيقي في حياة المسلمين، وهو يصل الدّنيا بالآخرة في ذلك، فالموت له رهبة في حياة الناس جميعًا، ولكن المؤمن يستقبل الموت بفرح عند موته، كما ذكر ابن القيّم (ت: ٧٥١ه): «وها هنا فرحة أعظم من هذا كله، وهي فرحته عند مفارقته الدّنيا إلى الله تعالى، إذا أرسل الله إليه الملائكة فبشروه بلقائه، وقال له ملك الموت: اخرجي أيتها الرّوح الطيبة كانت في الجسد الطيب، أبشري بروح وريحان، اخرجي راضية مرضيًا عنك ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفَجر: ٢٧/ ٣٠) فلو لم يكن بين يدي التائب إلا هذه الفرحة وحدها لكان العقل يأمر بإيثارها، فكيف ومن بعدها أنواع من الفرح..»[3].

وقال الله تعالى عن وفاة المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (النَّحل: ٣٢) «والسّلام هو الأمان»[4]، وتبقى بعد ذلك الفرحة الكبرى والسعادة العظمى للمؤمن بدخول الجنة خالدًا فيها، وليس بخارج منها، قال رسول الله ﷺ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، حَتَّى يُوقَفَ عَلَى السُّورِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ، فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى لأَهْلِ الْجَنَّةِ الْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ لَمَاتُوا فَرَحًا، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى لأَهْلِ النَّارِ الْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ لَمَاتُوا تَرَحًا)[5].

المطلب الثالث: النهي عن الحزن

وإذا كان الحزن نقيض الفرح، فالحزن «ليس من المنازل المطلوبة، ولا المأمور بنزولها، ولم يأت (الحزن) في القرآن إلا منهيًا عنه، أو منفيًا، فالمنهي عنه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ (آل عمرَان: ١٣٩) والمنفي، كقوله تعالى: ﴿..فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (البَقَرَة: ٣٨) وسر ذلك أن الحزن موقف غير مسرٍ، ولا مصلحة

---

(١) القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ١١١/١٦.

(٢) ينظر: اليازجي، إبراهيم، نجعة الرائد وشرعة الوارد، المكتبة البولسية، لبنان ط٣، ١٩٧٠م، ج١، ص١٨٠-١٨١.

(٣) ابن قيّم الجوزية، محمّد بن أبي بكر، الرّوح، مكتبة التّربيّة، بيروت، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م، ص٢٩٤.

(٤) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ١٠١/١٠.

(٥) رواه التّرمذيّ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة مريم، برقم (٣١٥٦)، قال التّرمذيّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (المُجَادلَة: ١٠) فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، فهو قرين الهم، مفتر للعزم، مضعف للقلب»[١] واستعاذ منه النبي ﷺ، (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ..)[٢]. والحزن يصرف النفس عن الاستمتاع بالفرح، «والحزن ألمٌ نفسي يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات، وهل يَعْرَى من هذه الأسباب أحد، فإنه ليس بممكن أن ينال أحد جميع مطلوباته، ولا يسلم من فقد جميع محبوباته، لأن الثبات والدوام معدوم»[٣].

وطبيعة الإيمان بالله تعالى، وتفويض الأمر إليه، يسكب في النفس السكينة والاطمئنان، فيجعل المؤمن موصولاً بالله تعالى، وأمضى عزيمة، وأقوى شكيمة، فلا يعبأ بأي غم أو حزن يواجهه، فيتعالى عنه، ولا يقف عنده، ويتجاوزه إلى ما هو خير. «وينبغي إذن أن نحرص على أن نكون سعداء، وأن نحترس من أن نكون أشقياء: بأن تكون إرادتنا ومحبوباتنا ما تهيأ لنا، ولا نأسى على فائتة ولا نتطلب غير المتهيئ من المحسوسة»[٤].

فمن اتسع أفق نظره إلى الأمور، فلا يجزع، ولا تستخفه النوازل، ويعلم أن ما أصابه من مكروه، فهو يصيب غيره، وهذه هي طبيعة الحياة، فلا يهلع ولا يجزع.

وكذلك كرّه الإسلام التشاؤم، وحبّب التفاؤل، ليعطي الراحة النفسية وانشراح الصدر وتقوية العزم دائمًا، قال ﷺ: «لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ». قَالَ: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»[٥]. قال في الفتح: «فالشرع خص الطيرة بما يسوء والفأل بما يسر، فجعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها، كما جعل فيهم الارتياح في المنظر الأنيق والماء الصافي، وإن كان لا يملكه ولا يشربه»[٦] فجاء الترغيب بالفأل لإدخال الفرح والسّرور، واجتناب الطيرة ليبعد الحزن والتشاؤم عن النفوس، ولتنمية هذه الثقافة وترسيخها، كان النبي ﷺ يزيل أي لبس أو عائق يعترضها، ولو كان اسمًا أو لفظًا، فعن سَعِيد بْن الْمُسَيِّب، عَنْ أَبِيه ، أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟». قَالَ: حَزْنٌ. قَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ»)[٧]. فيسميه اسمًا حسناً يوحي بالاطمئنان والتفاؤل، ويفسح بالأمل والفرح.

وعقيدة القضاء والقدر في الإسلام تعطي توازناً وانسجاماً للإنسان فيما يبتلى به، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ

(١) ينظر: ابن قيّم الجوزية، مدارج السّالكين، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٢/٣٨٤.
(٢) أخرجه البخاريّ، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، برقم (٦٣٦٩)، ص ٥٣٥.
(٣) الكندي (ت: ٥٢٦٠)، رسائل فلسفية، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص٦١.
(٤) المصدر نفسه، ص٨.
(٥) أخرجه البخاريّ، كتاب الطب، باب الفأل، برقم (٥٧٥٥)، ص ٤٩٢.
(٦) العسقلانيّ، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، ١١/٤١٥.
(٧) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب اسم الحزن، برقم (٦١٩٠)، ص٥٢٢.

ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ (الحَديد: ٢٢/٢٣) جعل الله تعالى في طباع الخلق الحزن والأسى على ما فاتهم من النعمة وينزل بهم من البلاء والشدة، والفرح والسّرور بما ينالون من النعمة. هذا هو المنشأ والمجعول في طباعهم»[١] وقال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): «ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا والحزن صبرًا»[٢].

فقيمة هذه الحقيقة في النفس البشرية أن تسكب فيها السكون والطمأنينة، عند استقبال الأحداث خيرها وشرها، فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعًا وتذهب معه حسرات عند الضراء، ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء، فإنه يحس بالراحة والطمأنينة لمواقع القدر كلها على السواء، فلا يأسى على فائت أسى يضعضعه ويزلزله، ولا يفرح بحاصل فرحًا يستخفه ويذهله، ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضى العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون»[٣]. فالعقيدة الإسلاميّة لها أثرها العظيم في فرح النفس ورضاها، وتقبل الحياة بحلوها ومرها ويسرها وعسرها، والتكيف معها في كل أحوالها.

ويفلسف الكندي هذه الحقيقة فيقول: «وأن نتذكر أن كل شيء فاتنا أو فقدناه فقد فات خلقاً كثيراً وفقد خلق كثير، كلهم قنع بفوته وفقدانه وهو ظاهر البهج بعيد من الحزن، فالحزن وضع لا طبع»[٤].

ففي الفأل الخير، فهو يبعد الهم، ويزيل الخوف، وينشر الرحمة، ويزرع الأمل بالخير والفرح والسّرور، ويرضّي النّفس بكل ما يقع، وما هذا إلا ثمرة من ثمار الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: الفرح المحمود

إن الفرحة حاجة ضرورية للنفس البشرية، وطبيعة أداء العمل وإتقانه، تجعل الإنسان يفرح به ويُسر، فينشرح له صدره، ويرضى به، ويطمئن إليه، والمؤمن حين يؤدي العبادة بإخلاص لربه تعالى، فهو يفرح بها، كما أخبر النبي ﷺ: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)[٥] فهو كما يفرح بصومه يفرح بعباداته كلها، يفرح بصلاته إن أداها في وقتها، وكما قال صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا)[٦]، كذلك يفرح بزكاته، ويفرح بحجه، ويفرح بكل طاعة لارتباطها بدينه وقد وُفق إليها، بل ليفرح بالبلاء أيضًا، قال ﷺ: (وَإِنْ

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، تح: فاطمة يوسف اللخمي، مؤسسة الرّسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م، ٥١/٥.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، ٤٨٣/٤.
(٣) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ١٤٣٦ه – ٢٠١٥م، ٣٤٩٣/٥.
(٤) الكندي، رسائل فلسفية، ص١٥.
(٥) أخرجه البخاريّ، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم، برقم (١٩٠٤)، ص ١٤٩.
(٦) سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، برقم (٤٩٨٥)، ص ١٥٨٨. حديث صحيح.

كَانُوا لَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا تَفْرَحُونَ بِالرَّخَاءِ»)[1].

فالمؤمن فرحته لحق وبحق، فكل فرحة يفرحها هي فرح مشروع، وهي موصولة بدينه، وأخراه، فهي فرحة حقيقية لا ندم فيها، ولا خوف منها ولا عليها، لأنها نابعة من دينه لا بطر فيها ولا اختيال. بل إن الدّين نفسه أذن فيها وشرعها، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (يُونُس: ٥٨) وكأنه قيل: «إن فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا.. والدّلالة أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح»[2] «وفيه أنه بإنزال القرآن مفضَّل، إذ له ألا ينزله»[3]، وقيل: «والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما»[4]. والمُراد بفضل الله ورحمته، كما ذكر علماء التّفسير ثلاثة أوجه:

«أحدها: أن فضل الله معرفته، ورحمته توفيقه.

الثاني: أن فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام.

الثالث: أن فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن»[5].

قال الشيخ حبنَّكة (ت: ١٤٢٥ه): «ومن ينظر إلى من أدّى أو يؤدّي أي تكليف شرعي، فإنه يؤديه فرحًا مسرورًا به، في بدايته ونهايته، وراحته في أدائه»[6]، فالفرحة متلازمة مع أداء العبادة، بل من قبلها ومن بعدها، ولا شيء يفرح المؤمن كأداء العبادة، قال أنس رضي الله عنه: (وما يسرني بتلك الصّلاة الدّنيا وما فيها)[7]، وعن أبي مُوسَى الأشعريّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى بهم العشاء، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ: «عَلَى رِسْلِكُمْ، أَبْشِرُوا، إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ». قَالَ أَبُو مُوسَى: فَرَجَعْنَا فَرِحَى بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ)[8]، فهل من فرحة أعظم للمؤمن من أن يوفق لطاعة الله عزّ وجلّ وطاعة رسوله ﷺ، فهذا الفرح محفز للإيجابية ومشجع للتعاون على البر والتّقوى.

المطلب الأول: فرح الشهداء:

إنّ أعلى وأغلى ما يقدمه المؤمن في حياته هو الاستشهاد في سبيل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ

(١) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، دار صادر، بيروت، ٣/ ٩٤.

(٢) البيضاوي، ناصر الدّين، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١/ ٢٤١.

(٣) الماتريدي، أبو منصور، تأويلات أهل السنة، ٢/ ٤٨٦.

(٤) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، ١/ ٣٥٨.

(٥) الماوردي (ت: ٤٥٠ه)، النّكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤٤١ه – ٢٠٢٣م، ٢/ ٤٣٩.

(٦) حبنّكة، عبد الرحمن الميداني، معارج التفكر ودقائق التّدبّر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م، ١٠/ ١٦٣.

(٧) أخرجه البخاريّ، كتاب صلاة الخوف، باب الصّلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو، برقم (٩٤٤)، ص٧٤.

(٨) أخرجه البخاريّ، كتاب: مواقيت الصّلاة، باب فضل العشاء، برقم (٥٦٧)، ص ٤٦.

مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (التَّوبَة: ١١١).
وإذا كان الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم بذلوا أرواحهم في سبيل الله تعالى، فجازاهم الله تعالى فجعلهم أحياء عنده، ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (البَقَرَة: ١٥٤) فحقيقة تلك الحياة قد لا تدرك، ولكن نؤمن أنهم أحياء، ومن ثم فإن الشهيد لا يغسل كما تغسل الموتى، لأنهم أطهار كرام عند ربهم، بل تغمرهم الفرحة بما أوتوا من فضل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ (آل عِمرَان: ١٦٩/ ١٧٠) فكشف الله تعالى عن مصير الشهداء وخاتمتهم، أنهم أحياء وهم فرحون فرحًا دائمًا بفضل الله تعالى عليهم، ومصدر فرحهم «هو شرف الشهادة، والفوز بالجنة، والقرب من الله تعالى، والتمتع بنعيم الجنة»[1]. فالشهادة «تعديل كامل لمفهوم الموت -متى كان في سبيل الله- وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها، بحيث تتجاوز نطاق هذه العاجلة، ولا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا وتصوراتنا عن هذه النقلة من صورة إلى صورة ومن حياة إلى حياة»[2].

المطلب الثاني: الفرح برؤية النّبيّ ﷺ:

لقد فرحت المدينة المنورة فرحتها الكبرى بمقدم النبي ﷺ مهاجرًا إليها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[3]، فالهجرة نجاح كبير، وإنجاز عظيم يؤسس لما بعده، وهو نقطة تحول في الدعوة الإسلاميّة.

وكان لهم فرحة كبرى بقوله ﷺ بما روى أَنَس رَضيَ الله عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ «قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»)[4].

وقد فرح الصحابة ي بقوله ﷺ: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (ما رَأَيْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَرِحُوا بِشَيْءٍ لَمْ أَرَهُمْ فَرِحُوا بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْهُ؛ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ عَلَى الْعَمَلِ مِنَ الْخَيْرِ يَعْمَلُ بِهِ، وَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ:

(١) البيضاوي، ناصر الدّين، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، ١٠٣/١.
(٢) سيّد قطب، في ظلال القرآن، ٥١٨/١.
(٣) أخرجه البخاريّ، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النّبي ﷺ وأصحابه المدينة، برقم (٣٩٢٥)، ص٣٢٠.
(٤) أخرجه البخاريّ، كتاب فضائل أصحاب النّبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم (٣٦٨٨)، ص٣٠٠.

«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1]. فهذه الفرحة دليل صدقهم ومحبتهم لله تعالى ورسوله ﷺ وفي الحديث قوة الترابط والتواصل بمن يحب وإخلاص النية والحرص على الاقتداء بأهل الخير والفضل، والمؤمن يتوافق مع من هو على شاكلته.

وكان للصحابة ي فرحتهم الكبرى والأخيرة برؤية النبي ﷺ كما روى أنس رضي الله عنه (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فيه، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاة، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الْفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ..)[2].

وإن المؤمن ليفرح لفرح رسول الله ﷺ مهما كلّفه ذلك، ذكر الجاحظ (ت: ٢٥٠هـ.) خبراً عن الحرص الشديد لرجل ودَّ إدخال الفرح إلى قلب النّبي ﷺ بإسلام عمه ولو أدّى إلى كفره، «قال: قال رجل من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة: نحن أشد حبًا لرسول الله ﷺ منكم يا أهل المدينة! فقال المدنيّ: فما بَلَغَ من حبك لرسول الله ﷺ وعلى آله؟ قال: وددت أني لقيت رسول الله ﷺ وأنه لم يكن وصل إليه يوم أُحد، ولا في غيره من الأيَّام شيء من المكروه يكرهه إلا كان بي دونه! فقال المدني: أَفَعِنْدَكَ غيرُ هذا؟ قال: وما يكون غير هذا؟ قال: وددْتُ أَنَّ أبا طالب كانَ آمَنَ فَسُرَّ به النبي ﷺ وأني كافر!»[3].

المطلب الثالث: الفرح بالنصر

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾ (الرُّوم: ٤/ ٥) من الأمور المفرحة والمبشرة في حياه المسلم، فرحته بهزيمة الباطل وأهله، ونصر الحق وأهله، فالفرحة بنصر الحق وأهله، صلاح في الأرض ورحمة، وإقامة لقواعد العدل والإحسان، وإعلاء لقيّم الأخلاق، وهزيمة للفساد والمفسدين، وهذا واقع تفرح به النفوس، وتطمئن إليه القلوب، والنصر دائمًا مرغوب ومحبوب، قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ (الصَّف: ١٣) وقد وقع الفرح بالنصر الذي ينبغي إضافته إلى الله تعالى، وهو نصر أهل الدّين الصحيح أصلاً وحالاً ومآلاً»[4]، وغالبًا ما تكون البشرى بالجنة في الآخرة، والبشرى جاءت بالنصر كذلك في الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة، ثمّ قال: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ مفسر للأخرى، ولو كان نصرًا من الله، لكان صوابًا، ولو قيل: وآخر تحبونه، يريد: الفتح، والنصر- كان صوابًا»[5].

---

(١) سنن أبي داود، أول كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إيّاه، برقم: (٥١٢٧)، ص ١٥٩٨.

(٢) أخرجه البخاريّ، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، برقم (٦٨٠)، ص ٥٤.

(٣) الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السّلام هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ -١٩٦٩م، ١٦/٣.

(٤) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م، ٥٩٦/٥.

(٥) الفراء، يحيى بن زياد (ت: ٢٠٧ه)، معاني القرآن، دار السّرور، بيروت، ١٥٤/٣.

ومما يفرح المؤمن في دنياه النصر والفتح، وقد وصفها القرآن بذلك، «لأن النفوس تحبها من حيث هي عاجلة في الدنيا، وقد وكلت النفس بحب العاجل، وفي هذا تحريض، ثم قوّاه تعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذه الألفاظ في غاية الإيجاز وبراعة المعنى»[1]، فالمؤمنون دائمًا يفرحون بالنصر، لأن النصر رحمة للمؤمنين، وهزيمة للكافرين، وعمران للأرض، وتحقيق لمصالح الناس، «وهذا النصر هو من الله -جلّ جلاله وعظم سلطانه- تقديرًا وقضاء وخلقًا، أو إذنًا وتمكينًا، فهو الذي ينصر من يشاء، وما النصر دومًا إلا من عند الله»[2]، ولقد صدق وعد الله تعالى، وفرح المؤمنون بنصر الله.

المطلب الرابع: فرح المسلم لأخيه:

إنّ الفرح في الإسلام لا يبقى حبيس نفس صاحبه بل يتجاوز ذلك الشعور ليشمل أبعادًا أخلاقية فالمسلم كما يفرح لنفسه يفرح لأخيه، ويسعى كذلك لإدخال الفرحة إلى قلبه بكل ما هو مشروع ومأمور به فمن فرَّح مسلماً فرّحه الله تعالى، كما أن من يسّر على معسر يسّر الله عليه، فهو يشاركه في فرحته ليضاعفها له، ويشاركه في أحزانه ليخففها عنه، وقد قال ﷺ (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)[3].

وقال عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ في وصفه ﷺ: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)[4]، وقال ابن عباس ب كان رسول الله ﷺ: (أجود أبش)[5]، «والبش: فرح الصديق بالصديق، وبشاشة اللقاء: الفرح بالمرئي، والانبساط إليه، والأنس به»[6].

فهناك دعوة في الإسلام للتيسير على الناس، وإدخال الفرحة إلى قلوبهم، وقضاء حوائجهم، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»[7]، فالتيسير على المعسر يزيل همه وكربه، ويريحه ويفرحه، فالجزاء من جنس العمل، من يسّر على معسر يسر الله عليه، ومن فرّح مسلمًا فرّحه الله تعالى، وكانوا يعدّون ذلك من أفضل الأعمال. قيل لمحمّد بن المنكدر (ت: ١٣٠هـ) أي العمل أحب إليك؟ قال: إدخال السّرور على المؤمن، قيل: فما بقي في ذلك؟ قال: الإفضال على الإخوان»[8]، ومن الأخلاق الفاضلة: البشر

---

(١) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، قطر، ١٣٩٨ه-١٩٧٧م، ٤٣٥/١٤.

(٢) حبنكة، عبد الرحمن، معارج التفكر ودقائق التّدبّر، ١٢٨/١٥.

(٣) رواه التّرمذيّ، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في صنائع المعروف، برقم (١٩٥٦)، ص ١٨٤٨، قال التّرمذيّ: حديث حسن غريب.

(٤) رواه التّرمذيّ، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب بشاشة النّبي، برقم (٣٦٤١)، ص ٢٠٢٠٧، قال التّرمذيّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٥) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ٣٦٧/١.

(٦) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، ١٣٠/١

(٧) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، برقم (٤٠٠٠)، ص ٩٥٠.

(٨) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، كتاب البر والصّلة، دار الجيل، بيروت، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ص٢٤٤.

«وهــو إظهار السّرور بمن يلقاه الإنسان مــن إخوانه وأصحابه ومعارفه، والتبسم عند اللقاء، وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس»[1].

وينبغي لمعلمي العلم أن يظهروا الفرحة لمن يعلموهم، وذلك «بطلاقه الوجه، وظهور البشر، وحســن المودة، وإعــلام المحبة، وإضمار الشفقة، لأن ذلك أشرح لصدره، وأطلق لوجهه، وأبسط لسؤاله، ويزيد في ذلك لمن يرجى فلاحه، ويظهر صلاحه»[2].

والمؤمــن الصادق يفــرح في دنياه وأخراه، لأخيه المؤمــن، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (آل عمــرَان: ١٧٠) ذكر الإمــام الــرّازي: «تــدل الآية علــى أن استبشارهم بسعادة إخوانهــم أتمّ مــن استبشارهم بسعادة أنفسهم، وهذا تنبيه من الله تعالى على أن فرح الإنسان بصلاح إخوانه، يجب أن يكون أتم وأكمل من فرحه بصلاح أحوال نفسه»[3].

بــل إن الدعاء بالفــرح للآخرين مما ورد شرعًا عن بعض الصالحين، فقد ذكر أن معروف الكرخــي مــرّ عليه جماعة في زورق في دجلة بغداد ومعهم لهو وطرب وخمر يشربونه، فقال الناس لــه: ادعُ الله عليهــم كما تجاهروا بمعاصي الله، فقال معــروف: ابسطوا أيديكم وقولوا معي: اللهم كما فرحتهم في الدّنيا ففرحهم في الآخرة، فقال الناس: إنما سألناك يا سيدي أن تدعوا عليهم، فقال: كان من أخلاقه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إذا سئل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعا له، ولا يفرح الله تعالى هؤلاء في الآخرة إلا إذا تاب عليهم في الدنيا»[4].

فالمؤمــن يفــرح لغيره كما يفرح لنفسه، وهذا دليل تطبيقي علــى كمال إيمانه وأخلاقه، فهو يحــب ويفرح لغيــره كما يفرح ويحــب لنفسه، فعلى المسلــم أن يتطبع بطبيعة دينــه، ويتكيف معه ببشاشــة قلبــه، وليحذر من أن يطبّع الإســلام بمزاجه وغلظته، فيعطي صــورة سيئة عن الإسلام وسماحته، بينما غير المؤمن يفرح على غيره أو منه، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمرَان: ١٢٠) فهم يتربصون بالمؤمنين، وفرحتهم بما يصيب المؤمنين من مكروه وابتلاء.

المبحث الثالث: الفرح المذموم.

إذا كان هنــاك فــرح محمود وممدوح، فهناك أيضًا فرح مذموم. فرح لا يستند إلى طاعة لله وشكر له، وإنما فرح منبعث من اغترار بزينة الدنيا، فرح يقطع صاحبه به ما بينه وبين الله تعالى، فــرح بثراء وجاه وتطاول على الناس، فرح بيومه ونسيان غده، فرح فيه السذاجة والنقص لا ينظر

(١) ابن الهيثم، أبو علي الحسن بن الحسن (ت: ٤٣٠ه)، تهذيب الأخلاق، تح: نسيم الهواري، دار المعارف، مصر، ٢٠٢٠م، ص٥٣.

(٢) ابن جماعة، بدر الدّين (ت: ٧٣٣ه)، تذكرة السّامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم، تح: محمّد هاشم النّدوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٥، ٢٠٢١م، ص٧٠.

(٣) الرّازي، الفخر، التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط٣، ٩٦/٩.

(٤) ابن الجوزي، صفة الصّفوة، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٣٢١/٢.

فيــه إلــى عواقب الأمور. فهو فرح في وقته، غير فارح فــي غيره، قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (التَّوبَــة: ٨٢/٨١) إشــارة إلى الفرح والتّرح، وإن لم يكن مــع الضحك قهقهة، ولا مع البكاء إسالة دمع»[١]. فالأمور بخواتيمها، فالذين كفروا كانوا يضحكون من الذين آمنوا في الدّنيا الفانية، كما قــال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (المُطَفِّفين: ٢٩) وأما فــي الآخــرة الباقية، فالذين آمنوا هــم الذين يضحكون، كما قال سبحانــه وتعالى عنهم: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (المُطَفِّفيــن: ٣٤). وقد بيّن القرآن الكريم أنواعًا من ذلك الفرح الزائف والمذموم والمنهي عنه، وقد جاء بسياقات اقتصاديّة واجتماعيّة.

المطلب الأول: الفرح بالمال:

إنَّ الإنسان بطبعه يحــب المال، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الفَجر: ٢٠) ودائمًــا هو يفرح به، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الشُّــورَى: ٤٨) قال الطّبري (ت: ٣١٠هـ): «سُــر بما أعطينــاه من الغنى، ورزقناه من السعــة وكثرة المال»[٢]، وقال الــرّازي: «إشارة إلى دنو همتهم وقصور نظرهم، فإن فرحهم يكون بما وصل إليهم، لا بما وصل منه إليهم»[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (القَصَــص: ٧٦). تأتــي قصــة قارون الــذي يضرب به المثل في جمع الكنوز، «لتعرض سلطــان العلم والمال، وكيف ينتهي بالبــوار مــع البغي والبطــر، والاستكبار على الخلق، وجحــود نعمة الخالق، وتقريــر حقيقة القيم، فترخص من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح»[٤] والمراد بـ ﴿ٱلۡفَرِحِينَ﴾ في الآيــة الكريمة: «المتبذخين الأشرين البطريــن، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، وقيل: هو فرح البغي»[٥].

وقال ابن عطيّة: «ونهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماكٌ وانحلالُ نفسٍ وأشر وإعجاب»[٦]. فالفرح بالمال لذاته وكنزه واتخاذه زينة للتفاخر مذموم، قال الألوسي: «فهو دليل على كون الفرح

(١) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التّمييز، ٢٦٨/٢.
(٢) الطّبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٤ه – ٢٠١٣م، ٥٤/١٣.
(٣) الرّازي، الفخر، التّفسير الكبير، ١٢٣/٢٥.
(٤) سيّد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٢/٥.
(٥) الطّبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣٦/١١.
(٦) ابن عطيّة، المحرر الوجيز، ٣٣٥/١١.

بالدّنيا مذمومًا شرعًا، لأن الفرح بها لكونها وسيلة إلى أمر من أمور الآخرة غير مذموم»[1]. فالفرح بنعمة عاجلة فرحة لا تقوم على أساس صحيح، ولا تستند إلى معرفة بعواقب الأمور، وكأنهم غير آمنين من زوالها، وقد تكون استدراجاً وهم عنها غافلون، لقصر همهم على العاجل والغفلة عن الآجل، وعدم علو الهمة في إدراك حقائق الأمور ومعاليها، وتدبرها والتبصر بها.

المطلب الثاني: الفرح بالدنيا:

قال تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ (الرَّعد: ٢٦) حصر هؤلاء عقولهم وقصروا فكرهم، على الحياة الدنيا، فإن بسط لهم بالسعة والرزق فرحوا به، وجهلوا عمّا عند الله تعالى، قال القرطبي: «فرحوا بالدّنيا ولم يعرفوا غيرها، وجهلوا ما عند الله»[2] ومن عرف حقيقة الدّنيا وتقلباتها فإنها لا تستحق الفرحة ولا الفرح. قال البقاعي: «ولما كانت السعة فطنة الفرح إلا عند من أخلصه الله، قال تعالى معاتبًا لمن اطمئن إليها (وَفَرِحُواْ) فبطروا وكفروا وَفَرِحُواْ ﴿بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي بكمالها، والفرح: لذة في القلب بنيل المشتهى، ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي في جنبها ﴿إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ أي حقير متلاشى، والمتاع: ما يقوم به الانتفاع في العاجل، وأصله: التمتع وهو التلذذ بالأمر الحاضر»[3]. وقيل: «معنى الآية كالخبر (الدّنيا مزرعة الآخرة) يعني كان ينبغي أن يكون ما بسط لهم في الدّنيا وسيلة إلى الآخرة كمتاع تاجر يبيعه بما يهمه وينفقه في مقاصده لا أن يفرحوا بها ويعدوها مقاصد بالذات»[4]. فالفرح بالدّنيا مذموم مطلقًا لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الطرح»[5]. وكما أنشد المتنبي (ت: ٣٥٤هـ):

أشد الغم، عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالاً»[6]

فمن تيقن أن الفرح ينتقل عنه فهو في غم لأنه يترقب زواله فلا يطمئن لذلك الفرح.

وإذا كان من شأن المؤمن أن يشكر ربه في السراء، لأنه يوقن أن هذه النعمة إنما هي من عند الله تعالى، فلا بد من الشكر للمنعم، أما هؤلاء فيفرحون «فرح بطر وأشر، لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة»[7]. فإن قيل: إن المؤمن قد يُسر بالحياة الدنيا، قيل: يسر، ولكن لا يلهيه سروره بها، ولا يغفل عن الآخرة، وأما الكافر لشدة سروره

(١) ينظر: الألوسي، شهاب الدّين محمود، روح المعاني، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ١١٢/٢٠.
(٢) القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ٣١٤/٩.
(٣) ينظر: البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٤٨/٤-١٤٩.
(٤) الألوسي، روح المعاني، ١٤٨/١٣.
(٥) البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، ٩٥/٢.
(٦) المتنبي، ديوان أبي الطيّب المتنبي، تح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٢٤٢/٢.
(٧) النّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النّسفي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٩/٢.

بها وفرحه عليها يلهو عن الآخرة وعن جميع الطاعات»[1].

المطلب الثالث: فرحة الأمم المكذبة بعلمهم:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (غافر: ٨٣) يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر ماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم، وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال فما أغنى عنهم ذلك شيئًا، لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به»[2]. فهم الأولى بهم أن يفرحوا بما جاءهم من العلم من ربهم عن طريق رسله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (الرَّعد: ٣٦) وشتان بين من يفرح بما أنزل الله تعالى ويؤمن به، وبين من يفرح بما عنده ويحسبون أنهم على شيء، ولا يفرح بما أنزل الله وهو أحق ما يفرح به، وفيه الدّلالة على جهالتهم بالحق، وعدم حرصهم على معرفته واتباعه، وكما قال القرطبي: «كل حزب، أي مسرورون معجبون، لأنهم لم يتبينوا الحق وعليهم أن يتبينوه»[3]، فكل من لم يتبع الحق الذي أنزله الله تعالى ويفرح به، ويغتبط له، فهو يفرح بما عنده، ويتعصب له كذلك، قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (المُؤمنُون: ٥٣) «والحزب الجماعة من الناس»[4]، وتلك الجماعة المتشابهة المتجانسة المتشاكلة التي تعاونت على أمر ما، «وكوّنوا أحزابًا وهم فرحون بما لديهم من تحريفات في دين الله يرضون بها أهواءهم وشهواتهم وتعصبوا -كالصابئة واليهود وغيرهم- للدين الذي ينسبونه إلى أنبيائهم على ما أدخلوا فيه من تحريف ونسيان، وكأن الدّين دينهم، وليس دين الله رب العالمين»[5].

إن أولى الناس بالفرح هم الذين رضي الله لهم الإسلام دينًا، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم، فهم راضون به مطمئنون إليه. لا يبغون عنه بديلاً ولا تحويلاً، وهذا أحق ما يفرح به وأعظم.

المطلب الرابع: الفرح بالمكاسب الدنيوية

يفرح كثير من الناس بمكاسب دنيوية عاجلة، من تلك المكاسب ما يأتي بصورة هدية، وإن كانت الهدية لها وقعها الإيجابي وأثرها عند الناس، فهي مرغوبة بقصد التودد والتقرب إلى من تهدى إليه، وأحيانًا تتحول الهدية إلى غرض نفعي فتكون سلمًا للوصول إلى أمر يبتغيه، فتأتي الهدية لتقرب المسافة إلى ذلك، وقد يكون ظاهرها هدية وحقيقتها رشوة ليستميل بها ما

(١) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ٦٣١/٢.
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٩/٤.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٢/١٤.
(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ٥٥/٢.
(٥) ينظر: حبنّكة، عبد الرحمن الميداني، معارج التّفكر ودقائق التّدبّر، ٤٦٤/١٤.

يتمنى، والهدية تستخدم على مرّ الأزمان، وقد قصّ علينا القرآن الكريم أن تلك المرأة (بلقيس) لجأت إلى الهدية على سبيل المداراة، قال تعالى عنها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (النّمل: ٣٥/٣٦) قال الرّازي في تفسيره: بل أنتم تفرحون من حيث إنكم استطعتم على إهداء مثلها، بل أنتم تفرحون بما يهدى إليكم، وكأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها»[1] فهو «أخبر أنكم تفرحون بها لأنكم أهل دنيا، إذ رغبة أهل الدّنيا في الأموال، ونحن أهل الدّين، رغبتنا في الدين، به نفرح»[2]. وقال الزّمخشري: «بل أنتم لا تعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدّنيا فلذلك (تفرحون) بما تزادون به ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم، وحالي خلاف حالكم، وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان»[3].

كثير من الناس يفرحون فرحًا عاجلاً آنيًا ساذجًا دون أدنى تفكر بما يعقبه وإن كان فيه الهلاك، كفرح السمكة بطُعم لها، تحسبه طعامًا وهو لاصطيادها وهلاكها، وهذا حال من لا يلجأ إلى الله تعالى إلا في حال الشدة ولحظة العسرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (يُونُس: ٢٢)، والريح الطيبة «لين هبوبها وكونها موافقة»[4] في هذه الفرحة تقع المفاجأة على الفرحين الذين لا تقوم فرحتهم على أساس صحيح، ولا يستندون إلى معرفة بعواقب الأمور، وهذا نتيجة العلم عندهم الذي يفرحون به، فكان سببًا بخزيهم وهلاكهم. وكما ذكر البقاعي في تفسيره: «من فرح بغير مفروح به استجلب حزناً لا انقضاء له»[5].

فالعقلاء يفرحون الفرح الحقيقي الذي له صفة الدوام عاجلاً وآجلاً، وهي تنبع من أعماق القلب، ولا بدَّ لهذه الفرحة إلا وأن تكون موصولة بما يرضي الله تعالى، فتلك هي الفرحة التامة التي لا يعتريها خوف ولا ينغصها شيء، وهي أحق وأجدر أن يفرح بها، وليس بفرح مزيف، لا يلبث أن يزول فتعقبه الحسرة والنّدامة.

(١) ينظر: الرّازي، الفخر، التّفسير الكبير، ١٩٦/٢٤.

(٢) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ٥٦٣/٣.

(٣) الزّمخشري، الكشّاف، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م، ١٤٨/٣.

(٤) أبو حيّان، البحر المحيط، ١٣٩/٥.

(٥) البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، ٥١٨/٥.

الخاتمة

أودع الله تعالى في الإنسان قوة الرغبة في الفرح والسّرور، فمنهم من يريد أن يفرح بأي فرح ولو كان ساذجًا دون النظر إلى عواقبه، ومنهم من يريد أن يفرح فرحًا حقًّا فيه الثبات الدائم عاجلاً وآجلاً -للمفروح به، يستند إلى قيم دينية مشروعة، فالفرح بالباطل باطل، والفرح بالحق حق.

إن آيات الله تعالى في كتابه، وآياته في خلقه، توحيان ببيئة البهجة والانشراح والتفاؤل، وما الفرح والسّرور إلا تنبه لمشاهد الطبيعة ومعانيها ودلالاتها، لما نرى من صور ومناظر ذات بهجة تسر العيون، وتفرح القلوب، وكأن العالم بما فيه من عجائب الآيات البينات يوحي بعظم المعرفة بالله عزّ وجلّ، والنعيم والراحة والفرح والسعادة.

جاء النهي عن الحزن في أحواله كلها، بل والاستعاذة منه وهو لم يذكر في القرآن إلا منهيًا عنه، وعقيدة القضاء والقدر ترفع وتدفع الحزن من حياة المسلم، وترسخ اليقين في قلبه، فإذا أيقن أن الأمور بيد الله تعالى فلا داعي ولا وجود للحزن في فكر المسلم وحياته.

من الأخطاء الشائعة أن كثيرًا من الناس يعتقدون أن الإسلام يمنع الفرح ويضيق عليه وأن الفرح من النادر وجوده في المجتمع الإسلامي، بينما يتغشى الحزن على ظواهر الحياة في النفس والمجتمع الإسلامي. وهذا لا دليل عليه، ولا يستند إلى أساس شرعي في ذلك، بل إن الإسلام أمر المسلم أن يقابل غيره بالابتسام وليس بالعبوس، وبالتفاؤل لا بالتشاؤم، بفرح موصول بين الدّنيا والآخرة.

الفرح شأنه شأن أي فعل يفعله الإنسان، له دوافعه وأغراضه، وهو شكل من أشكال التعبير عن حالة ما، ويختلف الحكم عليه أن يكون مقبولاً أو مرفوضًا باعتبار حقيقته وبواعثه، وأسبابه، وحالاته.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدّين أبي السعادات، النّهاية في غريب الحديث، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

الأصفهاني، الرّاغب، الذريعة إلى مكارم الشّريعة، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهريّة، ط١، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.

الألوسي، شهاب الدّين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

الأندلسي، أبو حيّان، البحر المحيط، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، كتاب سر الرّوح، مكتبة التّراث الإسلامي، مصر.

البقاعـي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسـور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

البيضاوي، ناصـر الدّين، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، مكتبـة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة.

التّوحيدي، أبو حيّان، المقابسات، دار المدى، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تح: عبد السّلام هارون، منشورات المجمع العلميّ العربيّ الإسلاميّ، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ -١٩٦٩م.

الجرجانـي، التعريفات، تـح: عبد الرحمن عميـرة، عالم الكتب، بيـروت، ط١، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.

ابن جزي، التّسهيل لعلوم التنزيل، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

ابن جماعة، بدر الدّين (ت: ٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تح: محمّد هاشم النّدوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٥، ٢٠٢١م.

ابـن الجوزي، عبـد الرحمن بن علي، صفة الصّفوة، دار المعرفـة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥ه — ١٩٨٥م.

ابـن الجوزي، عبد الرحمـن بن علي، كتاب البر والصّلة، دار الجيـل، بيروت، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

حبنّكـة، عبـد الرحمـن الميداني، معـارج التّفكر ودقائـق التّدبّر، دار القلـم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

الدّامغانـي، الحسين بن محمّد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنّظائر، تح: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٥م.

الرّازي، الفخر، التّفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.

الرّازي، محمّد بن أبي بكر، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.

الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت.

الزمخشري، الكشّاف، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.

ابـن السكيـت، إصلاح المنطـق، تح: أحمـد محمّد شاكر، عبـد السّلام هـارون، ط٤، دار المعارف، مصر.

سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ١٤٣٦هـ — ٢٠١٥م.

الطّبـري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٤ه – ٢٠١٣م.

العسقلانـيّ، ابن حجر، فتح الباري شـرح صحيح البخاريّ، دار المعرفـة للطّباعة والنّشر، بيروت، د.ت.

العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٦ه -١٩٨٦م.

ابـن عطيّة، المحرّر الوجيز فـي تفسير الكتاب العزيز، مؤسسـة دار العلوم، الدوحة، قطر، ١٣٩٨ه-١٩٧٧م.

ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، د-ت.

الفراء، يحيى بن زياد (ت: ٢٠٧ه)، معاني القرآن، دار السّرور، بيروت، د.ت.

الفيـروز آبادي، بصائـر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: عبد الحليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٤١٢ه – ١٩٩٢م.

القرطبي، محمّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.

ابن قيّم الجوزية، محمّد بن أبي بكر، الرّوح، مكتبة التّربيّة، بيروت، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.

ابـن قيّم الجوزية، محمّد بن أبي بكر، مدارج السالكين، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، د.ت.

الكندي، رسائل فلسفية، تح: عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

الماتريدي، تأويلات أهل السّنة، تح: فاطمة يوسف اللخمي، مؤسسة الرّسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م.

الماوردي (ت: ٤٥٠ه)، النّكت والعيون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٤، ١٤٤١ه – ٢٠٢٣م.

المتنبـي، ديـوان أبي الطيّـب المتنبي، تح: عمر فـاروق الطباع، دار الأرقم بـن أبي الأرقم، بيروت.

المناوي، التّوقيف على مهمات التّعاريف، تح: محمّد الداية، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٣ه.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

موسوعـة الحديـث الشريف الكتـب الستة، مكتبـة دار السّلام، المملكة العربيّـة السعوديّة، الرياض، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

النّسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النّسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

ابـن هشـام (ت: ٢١٣ه)، السّيـرة النّبويّة، تح: عبد الـرؤوف سعد، شركـة الطباعة الفنية

العباسية، مصر.

ابـن الهيثم، أبو علي الحسن بن الحسن (ت: ٤٣٠هـ)، تهذيب الأخلاق، تح: نسيم الهواري، دار المعارف، مصر، ٢٠٢٠م.

اليازجي، إبراهيم، نجعة الرّائد وشرعة الوارد، المكتبة البولسية، لبنان ط٣، ١٩٧٠م.